الأثر القرآني في مقامات الحريري والهمداني
دراسة فنية موازنة

الدكتور أركان رحيم جبر

The Holly Quran effect in Maqamat Al-Hariri and Hamadani (Balanced and Artificial Study)

Ph.D. Arkan Raheem Jabur

1- This study uncovered the Holly Quran effect in Maqamat Al Hamadani and Al Hariri , where it contained the expressions, and structures level and picturing level .

2- The study showed and in a level the specific pronunciation in these Maqamat like Holly Quran names and the blessed verses and worship expressions like (Haj) (Pilgrimage) and pray and others , and it showed the ability of Hariri to use another expressions which was absent in Hamadani Dictionary like Almighty Allah names and the apocalypse names .

3- On the level of structures ,the quotation was represented in all kinds and was clearly there in the Maqamat , the Hariri Maqamat contained the direct quotation (Citation) and was absent about the Hamadani Maqamat .

4- On the picturing level , the look like image was highly absence clear especially in Hamadani talents ,where the metaphor was receded except one image in Hariri in a picture of metaphor of metaphor .

5- In all of that the difference in artificial side was clear between Hamadani and Hariri .. where everyone of the them his own genius in spite of that Hariri is more capable than Hamadani by quantity that came in that Maqamat that counted about 50 Maqam to the both sides

L'Effet coranique dans les sermons modulés d' Al Hariri et Al-Hamdani (étude technique en comparaison)

D.Arkan Rahim Jabor…

1- Cette étude a révélé les impacts coraniques dans les sermons modules d'Al-Hamdani et Al Hariri, où elle a inclus le niveau des vocabulaires et des structures et le niveau graphique.

2- L'étude a montré notamment le niveau de certaines vocalisations dans ces sermons modulés, tel que les noms du noble Coran et des sourates bénises et des mots de la culte tels que Al Hajj, la prière et d'autres, et elle a montré la capacité d'Al Hariri à employer autres mots, presque absents du lexique d'Al Hamdani, tel que les noms d'Allah et les mots de la Résurrection.

3- Et au niveau tel que la citation dans tous ses types y faisait une partie remarquable dans ces sermons modulés, c'est que les sermons modulés d'AlHariri sont remplis par la citation directe (**la preuve**) au moment où ceux d'Al-Hamdani en étaient absents.

4- Et au niveau graphique (explicative) , l'explication analogique y faisait une partie remarquable, en particulier dans les creations d'Al Hamdani, alors l'image allégorique d'Al Hariri a rétreci dans une seule image comme telle l'allégorie de la métaphore.

5- Alors malgré la variation technique qui était claire entre Hariri et AlHamdani, mais pour chacun d'eux sa créativité unique, bien que AlHamadani est apprécié vraiment plus d'AlHamdani en termes de quantité figurant dans ces sermons modulé, qui sont élevées à cinquante chez les deux….

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله الاطهار وصحبه الاخيار.

وبعد.....

فهذه دراسة امل ان أكون قد وفقت فيها للكشف عن بيان الأثر القرآني في مقامات الهمداني والحريري ، دراسة تظهر الجوانب الفنيّة لذلك الأثر الطيب ثم عَلى الموازنة بين تلك النصوص على وفق الحاسة الفنيّة. وأماعن سبب اختياري الموضوع فاني مازلت مشغوفاً في تتبع أثر القرآن العظيم في أدبنا الخالد،كما أنني اعتقد أن الموضوع يحمل من الجدة مايجذب الباحث الى سبر اغوارها، فلم أقف على دراسة مستقلة في هذا المضمار.

وثمة نقاط مشتركة بين تلك المقامات تفتح الباب للباحث ليقيم الموازنة بينها منها: انَّ الحريري قد سار على غرار الهمداني من حيث البناء الفني _الالتزام بشخصيتينا لرواية والبطل_ ومن ناحية الموضوعات التي عالجت الظواهر الاجتماعية وتطرقت الى المسائل الفكرية واللغوية، وكذلك أن الحريري جعل مقاماته خمسين مقامة بعدد مابقي من مقامات الهمداني، فضلاعن أن مقامات الحريري كسبت شهرة _لاسباب فنية_ واسعة كادت ان تغطي على المقامات التي تلت مقامات الهمداني فلا تكاد تذكر المقامات حتى يتبادر الذهن الى هذين العلمين ومقاماتهما.

ان طبيعة البحث اقتضت تقسيمه بعد المقدمة الى ثلاثة مستويات هي:

١. بيان الأثر القرآني على مستوى الألفاظ

٢.بيان الأثر القرآني على مستوى التراكيب

٣. بيان الأثر القرآني على المستوى التصويري

ثمّ بَيانأهم النتائج التي توصل اليها البحث فقائمة بالمصادر والمراجع التي ثم الافادة منها، ولم اتعرض الى سيرة العالمين (الهمداني والحريري) والتعريف

بالمصطلحات الأدبية في المتن لئلا تأخذ حيزا ًيتنحى البحث سببهاعن الغرض الأصلي فضلاً عن كثرة الدراسات التي تناولتها فلامسوغ للتكرار، لكن لم أغفل عنها تماماً فقد أشرت في الهامش الى ماتقتضيه الضرورة.

ومن الله التوفيق انه نعم المولى ونعم النصير

١. مستوى الألفاظ

نسلط الضوء في هذا المستوى على الاختيارات اللفظية _معجماً وصيغاً_ التي تمث الارتباط المبدع بتراثه_ القرآني الكريم_ اذ شكل مصدرا ًاساساً في تكوين لغته، وكان عاملاً فعالاً يدفع النتاج الأدبي نحو الابداع والخلود، فتمثيل الموروث بتواءم التجربة التي يعيشها المبدع يخلق جوأ من التأمل العميق يقودنا لنلمس غاية ماأراد من بلورة أمر ذي علاقة وطيدة بين فكرته واختياره لتلك الألفاظ ،ايأ نَّحسن انتقاء الألفاظ واحلال دقيق لها في موضع النصير فدالتجربة فيؤثر بالمتلقي ويستميلها لىما يقصده ومايروم تحقيقه وهذا ما سندأب في الكشف عنه في مقاماتهما[١] الهمداني[٢]

---

(١) هي المجلس ،وتعني الاحدوثة من الكلام لانها تذكر في المجلس واحد يجتمع فيه الناس ينظر: لسان العرب :لابن منظور مادة (قوم)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، القلقشندي:١١٧/١٤ والمقامة الفنية :تعني تلك التي ابدعها بديع الزمان ، واتخذت شكلا دراميا لم يسبق الية، وهي قصيرة بطلها انموذج انساني متسول لها راو وبطل وتقوم على حدث ظريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة ويفية أومغامرة مضحكة تحمل في داخلها لوناً من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في اطار الصنعة اللفظية والبلاغية فن المقامة د. يوسفنور:٨

(٢) ابو الفضل أحمد الحسين، ولد في همدان فب بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، توفي سنه ثمان وتسعين وثلثمائة، كان خفيف الروح حسن العشرة عظيم الخلق حلو الصداقة، ضرب في الأرض متنقلاً من خرسان الى جرجان الى افغانستان، أخذ عن ابن فارس اللغوي الشهيروالتقى في حياته بابي بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد يُنظر: يتيمة الدهر،الثعالبي: ٢٥٨/٤، معجم الادباء الحموي:١٥٠/٣ وفيات الاعيان، ابن خلكان: ٦٨/١

والحريري[١]واجزاء الموازنهها[٢] بينها فمن الألفاظ التي شكلت معلما بارزا الوقوف عندها تلك المفردات التي ارتبطت بأسماء السور القرآنية وحملت دلالات جديدة، ويبدو أنَّ الهمداني قد استطاع أن يودع مقاماته تلك الأسماء ويزينها بها أكثر من الحريري[٣]،ومن ذلك _مثلا_ سورة الفاتحة فقد مثلت نقطة ارتكاز بينهما وبمفارقة، فالهمداني يوردهاباسمها (الفاتحة) التي عرفت بها لافتتاح المصاحف، بها ولوجوب قراءتها في الصلاة،فهي فاتحة لما يتلوها من سور الكتاب والقراءة[٤]ولم يتطرق الحريري الى هذا اللفظ وانَّما جنح الى اللفظ (أم القرآن) مستندا الى ماعُرف من وصفها بـــ (أم القرآن وأم الكتاب) لأنها مقدمة على سائر سور القرآن الكريم[٥]وقد استمد هذا اللفظ من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[٦]وليتضح الأثر جليا نورد للهمداني وآخرى للحريري، اذ يقول الهمداني في احدى مقاماته: ((كنتُ باصفهان اعتزم الى الرأي،.....فلما صُمَّ ما توقعتُهُ نُودي للصلاة نداءً سمعتُهُ، وتَعَيَّنَ فرض الاجابة، فانسَلَلتُ من بين الصحابة،اغتنم الجماعه،..... فصرتُ الى أول الصفوف ومثلتُ للوقوفِ، وتقدم الامام الى المحراب، فقرأ فاتحةَ الكتابِ، بقراءةِ حمزةَ،مَرَّة وهمزة، وبي الغَمَّ المُقيمُ المُقعِدُ في فوت القافلةِ، والبعدِ عن الراحلةِ

(١) أبومحمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري ،ولد سنة ست واربعين واربعمائة هجرية، توفي سنة عشرة وخمسمائة،كان يتمتع بالذكاء والفطنة والبلاغة ، وله تصانيف تشهد بفضله وتقر بنبله منها كتاب درر الغواص في أوهام الخواص وكتاب ملحة الاعراب يُنظر: معجم ،الحموي : ١٦:/٢١٧

(٢) الموازنة:نوع من النقد والوصف بين عملين ادبيين بأدق مايمكن من التحديد ولها شروط محددة، يُنظر: الموازنة بين الشعراء ،زكي مبارك: ٢٢ على سبيل المثال

(٣) يُنظر: مقامات الهمداني: ٦١، ٦٢، ٦٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨، ومقامات الحريري: ١٤، ١٠٩، ٥٤٤، ٥٥٩، ٥٨٢

(٤) يُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي: ٨٧/١

(٥) يُنظر: اسباب النزول ، الواحدي النيسابوري: ١٩

(٦) سورة ال عمران الاية:٧

وأتبعَ الفاتحةَ الواقعةَ وأنا أتصلَّى نارَ الصبر.....، وقامَ الى الركعةِ الثانيةِ، فقرأ الفاتحةَ والقارعةَ، قرأءة استوفى بها عُمَر الساعة واستنزف أروع الجماعة))[١] وهذا النص المفعم بالألفاظ القرآنية (اسماء السور كالواقعة والقارعة والفاظ الركوع والسجود والمحراب) يحيط اللثام عن أثرها في لغة الهمداني ومعرفة بعلم القراءات التير يتصل بعلوم القرآن الكريم،اذ ذكر قرأءة (حمزة)[٢] لسورة الفاتحة ايغالا في بيان استغراق الوقت الذي اسرف أمام الجماعة فيه، مما عزز موقعها في النص، أي أن الهمداني استطاع بلباقة وذكاء ان يحسن انتقاء الالفاظ فأورد لفظ الفاتحة بقراءة (حمزة) ثم أردفها بسورة الواقعة التي تضم تسع وتسعين آية أن يحقق ماكان يروم من غرض السخرية باولئك الذين لم يفقهوا روح العبادة، ولعل من المفيد الاشارة الى أن سمة ذكر القُراء وقراءتهم كانت من نقطة التقاء بين مقامات الهمداني والحريري[٣]مع ملاحظة أن الحريري شكل انزياحا عن تلك الروح التي دت عند الهمداني في السخرية والتهكم مع ملاحظة الالتفات الى ان كليهما اوردا هذه الالفاظ في حديث الرحلة والسفر_فيقول: ((ولما عُلَمِتِ الرحال، وأزف الترحال، استنزلنا كلماتِهِ الراقية، لنجعلها الواقية الباقية، فقال لِيقرأ كلٌّ منكم أُمَّ القرآن، كُلّمأظلَّ الملوان))[٤]، فالمفارقة تكمن أنّ الحريري أتى بهذا اللفظ (أُم القرآن) ليستنزل به البركة ويرفع به البلاء، وتكاد تكون هذه السمة الغالبة أينما أوردها[٥] ويمتد الأثرعند الحريري في الاقتباس من الألفاظ القرآنية الى الأسماء الحسنى للع عز وجلّ وعلا التي ذكرها الذكر الحكيم[٦] ولاأجد أثرا واضحا لها عند

---

(١) مقامات الهمداني : ٦١

(٢) حمزة:

(٣) يُنظر: مقامات الحريري:٢٤٤، اذكر رب عمرو

(٤) مقامات الحريري:١٠٩، عُلمت: شدت الراقية: من الرقية الواقية: الحافظة الملوان: اي دنا الليل والنهار

(٥) يُنظر:مقامات الحريري:٢١٥، ٣٢٩، ٣٥٦، ٤٥٩، ٥٨٥

(٦) يُنظر:مقامات الحريري :١٤، ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٨٧، على سبيل المثال

الهمداني سوى موطن واحد بصورة لاتكشف عن أثر ملموس[١] فمن الأسماء التي اوردها الحريري في مقاماته الاسم المبارك (المهيمن) الذي تكرر بشكل ملحوظ، ويحمل معنى الشهيد والرقيب والأمين[٢]و((الفائق المسيطر على الأشياء))[٣]كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٤] ولم يخرج الحريري عن هذا المعنى أينما وظف هذا الاقتباس ومن ذلك قوله: ((يامعشر الحجاج النا سلين من الفِجاج .....،أتخالون أن الحجَّ هو اختيار الرواحل وقطع المراحل .....أم تظنون أنَّ النُّسكَ هو نضو الأردان وايضاء الابدن .....، كلا والله بل هو اجتناب الخطيّة قبل اجتلاب المطيّة، واخلاص النيّة، .....،أُخي فابغِ بما تُبديه من قُرب وجه المهيمن ولاجا وخَرّ اجا))[٥] وتطلعنا في هذا النص ألفاظا قرآنية مثل (الحج، النسك) تدعونا للوقوف عندها أيضا ولابُد من الاشارة الى أن هذه الالفاظ قد انتشرعطرها في مقامات الهمداني قبل مقامات الحريري مع مفارقة لطيفة، فالهمداني كان يميل الى لفظ (الكعبة) اشارة منه الى مناسك الحج التي حملت دلالات اسلامية[٦] بينما غاب هذا اللفظ (الكعبة) عن مقامات الحريري، ومن الامثلة اتي يمكن ان نسوقها عند الهمداني قوله: ((كنت بنيسابور يوم الجمعة فحضرت المفروضة،ولمَّا قضيتها أجاز بي رجل قد لبس دَنيَّة وتحنَّك سنية فقلت لمصلٍ بجنبي : من هذا؟ قال هذا سوس.....، قلت لعن الله هذا، فمن أنت قال : أنا رجل أعرف بالاسكندري فقلت سقى الله أرضا أنبت هذا الفضل.....فأين تُريد؟

---

(١) ينظر: مقامات الهمداني: ١٧٨، فقد ذكر لفظ الرحمن

(٢)ينظر:كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، الرازي :٤٨ ، ولسان العرب مادة (همن)

(٣) يُنظر: الميزان في تفسير القران ، محمد حسن الطباطباني:

(٤) سورة الحشرالاية: ٢٣

(٥) مقامات الحريري: ٣٢٦، ٣٢٩، نضو: النزع انقاء الابدان: اهزالها من التعب

(٦) فلفظة الحج تعني القصد، وبعد نزالها في القران اخذت معنى خطة الشرع بقصد معين ذي شروط معلومة الى البيت الحرام ، نهاية غريب الحديث:١/٣٠٤

قال الكعبة، فقلت نحن اذا رفاقا فقال: كيف ذلك وانا مُصعِّدُ وأنت مُصَوِّب؟! قلت! فكيف تُصَعِّد الى الكعبة؟ قال: أما انِّي أريدُ كعبة المُحتاجِ لاكعبةَ الحُجَّاج، وَمَشعَرَ الكَرَمِ، لامَشعَرَ الحَرمِ وَبَيتَ السَّبي لابيت الهوى، وقبلت الصِّلات، لا قبلة الصَّلاة، وَمِنِي الضيف لامني الخفيف))[١] ان الغرض المجازي في هذه المقابلات دليل على قدرة الهمداني وموهبته، فالمعنى المعجمي لمفردة (الكعبة) يراد به الغرفة أو الجهة أو المكان المربع[٢] فقوله (كعبة المحتاج) ارد به الزائل الذي يناله من التوجيه الى مقصورة، مضادا لقوله (لاكعبة الحجاج) والمراد به تلك الشعيرة وما تفوحه من بذل معنوي وكمالات نفسية وهو المعنى الذي أراده القرآن الكريم، وهذا ما يمكن انطباقه على الفقرات الاخرى التي اردفتها المقابلات (مشعر الكرام لامشعر الحرام .....) ولنا نقول: ((ان الحريري قد سار في الواقع على نفس الاطار الذي سار فيه الهمداني مع اختلافات طفيفة في الصياغة))[٣] حينما نقف على قوله: ((كنت في عنفوان الشباب، وريعانه العيش اللباب اقلي الاكتئاب بالغاب أهوى الاندلاق من القراب،لعلمي ان السَّفرينتج السُّفر،.....، واهتاجَلي شوقُ الى بيت الحرام، فزممت ناقتي ونبذت عُلّقي وعلاقتي، وقلت للائمي أقصر، فاني سأختارُ المَقامَ على المُقام، وأنفق ماجمعتُ بأرضِ جَمع، واسلُوا بالحطيم عن الحُطامُ))[٤] اشارات الحريري حب المكث والتبجل لهذه الاماكن المقدسة على نقيض ما جاء في نص الهمداني وليس ثمة من الشك بأن الحريري قد عمد الى قوله تعالى﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾[٥] أراد بقوله: (المُقام) الدلالة القرآنية العبادبية مباينا الدلالة

---

(١) مقامات الهمداني : ٣٠٧_٣١٠، مصعد: ذاهب نحو الشمال، مصوب: نحو الجنوب السّبي: السبايا التي يغتنمها المحاربون

(٢) يُنظر: لسان العرب : مادة (كعب)

(٣) فن المقامات بين المشرق والمغرب، د. يوسف نور عون: ١٧٤

(٤) مقامات الحريري:٣٢٣، ٣٢٤، اقلي :أبغض الاكتئاف: الاقامة
الاندلاق: سرعة الخروج القراب: غمد السيف زممرت: جعلت زمامها فيها عُلقي: أثغالي

(٥) سورة البقرة الاية ١٢٥

المعجمية للفظ (المَقام) التي تعني المكث، محققا من خلال الجناس (المَقام، المُقام)، (حطيم، حُطام) غايتين ((الغاية الاولى صوتية، وهي توفير نوع خاص من الانسجام والتقارب في الاصوات، والثانية معنوية وهي سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه))[١]وهذا ما لمسناه عند الحريري والهمداني، وملخص القول في الفاظ العبادة والشعائر يمكن ان نقول ان الروح السخرية والتهكم بدت أكثر وضوحا عند الهمداني بينما نلحظ محافظة تلك المعاني على دلالتها في نصوص الحريري.

وفي اثناء تتبعي لتلك المقامات لأكاد أقف على أثر لألفاظ مشاهد الاخرة التي تتمثل بالقيامة واسمائها واجوائها عند الحريري بينما شخصت عند الحريريها[٢] ومن ذلك مثلا: ((الله الله،رعاكم الله الامَ مُدَاوَمةُ اللَّهو، ومواصلةُ السَّهو،.....، أما الهرمُ حصَادُكُمُ والمدرُ مِهادُكُم، أما الحِمامُ مُدرِكُكُ، الصِراطُ مسلككم، اما الساعةُ موعُدِكُم والساهرة موردُكُم أهوال الطامةِ لكم مُرصَدَة، اما دارُ العصاة الحُطَمةُ المؤصَدَة))[٣]ومع كثرة المفردات القرآنية التي تشير الى احوال الاخرة (الصراط، الطامة[٤]،الحطمة[٥]، مؤصدة[٦]) وتزاحمها في هذا النص التي كادت ان ان تحول النص الى نص بديل الأأن روحالابداع لم تخفت ولاسيما تصيّد الحريري للفظة (الساهرة) في قوله (والساهرة موردكم) فهذه اللفظة وان كانت قد عرفتها بمعنى وجه الأرض من الفلاة[٧]واوردتها في اشعارها قبل نزول القرآن الكريم[٨]

---

(١) أثرالقرآن في تطويرالنقد العربي ، د. محمد زغلول سلام: ٢٤٤

(٢) يُنظر: مقامات الحريري: ٢١٥، ٢١٦، ٢٩٠، ٢٩١، على سبيل المثال

(٣) مقامات الحريري: ٢٩٠_ ٢٩١

(٤) يُنظر: سورة النازعات الاية: ١٤

(٥) يُنظر: سورة الهمزة الاية: ٢٠

(٦) يُنظر: سورة البلد الاية:٢٠

(٧) يُنظر: لسان العرب : مادة (سهر)

(٨) من ذلك قول امية بن ابي الصلت: وفيها لحمُ ساهرةٍ وبحر وما فاهوا به لهم مقيم ديوان امية بن ابي الصلت ، تحقيق : بهجت عبد الغفور.

الاّ أنها اكتسبت دلالة جديدة حينما اوردها الذكر الحكيم في وصف انتهاء وحلول احوال القيامة ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾[١] اذاً فالدلالة الجديدة تشيرالى أول موقف من مواقف الجزاء[٢]، ولعل هذا المعنى دفع بالحريري الى ايراده في هذا النص، فبعد أن ذكر الموت وموعد الساعة جاء به ليشيرالى أول مواطن القيامة ثم أردفه بما بعده من المصير كالعذاب والشراب من السموم ولو أتى بلفظ قرآني آخر لم يعط ذلك المعنى.

وهكذا اتضح أثر الالفاظ المباركة المقتبسة من الذكر المبين في تلك المقامات، ذلك الاثر الذي رَصَّعَ لغتها بدلالات تعبيرية واشارات ايحائية أظهر اعجاب أصحاب المقامات بها وحفظهم لها وقدرتهم على الارتباط بها ارتباطاً لايوصف بالسذاجة بل كان يمثل ظاهرة في الخلق والابداع.

وبقية اشارة أخيرة لابد من ذكرها وهي أنَّ عدد المواضع التي شغلتها تلك الالفاظ في المقامات الخمسين للهمداني بلغت ما يقارب من خمس عشرة مورداً[٣] وعند الحريري مايقارب من ثلاث وعشرين مورداً[٤] في الاغراض التي تمَّ ذكرها، ذكرها، وهذه نقطة فارقة بين الهمداني والحريري أيضاً.

٢. مستوى التركيب

لم ينحصر الأثر القرآني في المقامات بانتقاء الألفاظ فحسب وانما امتدَّ الى التراكيب،لايخفى أن من شأن التركيب المتصف بالابداع الملائم للمعنى أن يستميل المتلقي ويرتقي بالنص[٥] الى الخروج عن اللغة المبتذلة الى لغة أخرى لغة الادب

---

(١) النازعات :٣٤

(٢) يُنظر: مجمع البيان : ٦٥٤/١

(٣) يُنظر: مقامات الهمذاني: ٦١، ٦٢، ٦٣، ١١٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨، ٢٣٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٢١٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ،٤٢٢

(٤) يُنظر: مقامات الحريري: ١٤ ، ١٠٩ ، ١٤٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٩ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٩٥

(٥) يُنظر: الحِجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، د. سامية الذريدي: ١٠٨

ومماالاشك فيه أن الالفاظ يكتمل شرفها و رونقها ويتأكد فعلها وأثرها في النفوس متى ما انتظمت في تراكيب تناسب مقاصد المبدع وتجانس القول وغاياته[١].

وحينما نمعن النظر في المقامات نصل الى أن الاقتباس[٢] كان أحد التراكيب التي لجأاليها أصحاب المقامات على وفق منظور فني يعتمد الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الانتقاء،ولعل أول ما يطالعنا أنَّ الاقتباس النصي المتمثل بالاستشهاد[٣]كان فارقاً بيّناً بينالهمداني والحريري، اذ خلت مقامات الهمداني منه، بينما انتشرعطره في مقامات الحريري[٤]

ومنها قوله:((ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور، فلما حصلتُ بها ذا رفعة وخفض .....، تُقتُ الى مصرتوقان السقيم الى الاساة الى المواساة،.....، فلما دخلتها بعد معاناة .....، فبرز حينئذٍ شيخُ قد أمال الملوان قامته،ونور الفتيان ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله.....، ثم قال الحمدلله المبتدئ بالافضال.....،الذي شَرَعَ الزكاة في الأموال، وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وأمر باطعام القانع والمعترو وصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، أحمده على مارزق من طُعَمة هنيّة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له يجزي المتصدقين والمتصدقات،..... وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله الكريم،.....،

أمابعد فانه الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا،وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لِتَعرِفُوا ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

---

(١) يُنظر: دلائل الاعجاز الجرجاني: ٥٩_٦٠

(٢) الاقتباس: يعني الاخذ والافادة ،يُنظر: كتاب العين ،الفراهيدي: مادة (قبس)، واصطلاحاً: ان تدرج كلمة القرآن أو آية في الكلام تزيينا لنظامه وتفخيما الشأنه ، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، الرازي: ١٤٧

(٣) الاستشهاد: هو أن يأتي الأديب بالاية المباركة كاملة أو بجزء منها ويضعها في نتاجه ناصاً على نسبتهاالى القرآن الكريم كأن يقول:(قال الله) أو(قال تعالى) أو (وفي الكتاب العزيز) أو(في الاية المباركة) وهكذا.....، يُنظر: حسن التوصل الى صناعة الترسل، الحلبي: ٢٣٢

(٤) يُنظر: مقامات الحريري :٣١٧، ٣١٨، ٣٤٤، ٦٠٢ على سبيل المثال

لتعارفوا، وهذا أبو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح.....، يخطب سليطة اهلها وشريطة بعلها)[١]

وهذه احدى المقامات التي تصرح بأنَّ الحريري أبدع[٢] في ((كتابتها الابداع كله، وتلاعب بالالفاظ تلاعب الصولجة بالاكر، فلم يدع فناً من البديع الا استخدمه في قدرة عليه وتمكن منه، مكثر الالفاظ اللغوية والحكم الممتازة والامثال السائرة، والفكاهات المستملحة والاقتباس من القرآن))[٣] الذي تمثل بالاستشهاد بآيتين في مقطوعة واحدة وفي انتقالة من الانفاق كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[٤] الى الزواج في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٥] ومن المفيد الاشارة الى أن الحريري لم يكمل اقتباس الاية المباركة{إِنَّأَكْرَمَكُمْعِندَاللَّهِأَتْقَاكُمْ}لان الغرض الذي دعاه الى الاقتباس تحتم عليه فهو ليس بصدد بيان التقوى والورع الذي لايتناسب مع الاجواء التي ساقها فعمد الى اجتذاء الاية المباركة أي ((أنَّ سياقات الحذف تمثل ..... خلق العلاقات داخل التراكيب،مع الملاحظة أيضاً أنّ هذه العلاقات لاتتعامل مع العناصر التركيب على اساس أهمية بعضهاوعدم أهمية بعضها الاخر،وانَّما السياق هو الذي يعطي لكل عنصر أهمية، بحيث يكون اسقاطه مبرزاً لهذه الأهمية))[٦] وكان الاقتباس النصي (المباشر)[٧] نقطة التقاء بين الهمداني والحريري

---

(١) مقامات الحريري: ٣١٣_٢١٨

(٢) يضيف المقام عن بيان ماتضمنته هذه المقامة من الفاظ قرآنية وفنون بديعية كالجناس والتضاد وما احتوته من امثلة وحكم والتي لو وقفنا عندها لاستطرد البحث وخرج عن فكرته

(٣) تاريخ الادب العربي في العصر العباسي بالمشرق ، السباعي بيومي :

(٤)سورة الذاريات ١٨

(٥) سورة الحجرات ١٣

(٦) جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب : ١٨٤

(٧) الاقتباس النصي:هو أن تلتحم الاية المقتبسة بكلام الاديب دون تغير فيها دون أن يشير الى أن الكلام المقتبس من الآي الحكيم.

والحريري حيث التحمت الايات المقتبسة بكلامها التحام تلاصق وتجاوروشكلت جضوراً فاعلاً اسهم في تنشيط النصوص وتأثيرها حسناً على المتلقي ولنا أن نستشف ذلك في قول الهمداني في المقامة البُخارية :((أحلَّن جامع بُخاري يومُ وقد انتظمت مع رِفُقه في سمط الثريَّا، وحين احتفل الجامع بأهله طلَعَ الينا ذو طمرين قد أرسل صِواناً واستتلى طِفلاً عُرياناً يَضيفُ بالضُّرِّ وُسعُه.....،فوقف الرَّجلُ وقال لاينظُرُ لهذا الطفل الامن الله طفَّله .....،فبادروا الخيرَ ماأمكن وأحسنوا مع الدَّهرِ ماأحسن فقد والله طعمنا السكباجَ* ولبسنا الهملاجَ،.....،ثم قَعَدَ مُرتفعاً وقال للطفل : أنت وشأنك،فقال: ماعسى أن أقول وهذا الكلام لو لقِيَ الشَّعرَ كَلَقَهُ أوالصخرَ لَفَلقهُ،.....، وقد سمعتم ياقوم مالم يسمعوا قبل اليوم، فليشغل كلٌّ منكم بالجود يدَه، وليَذكُر غدَه، واقياًولده، اذكروني أذكركم، وأعطوني اشكركم))[١] فالهمداني جاء بالاية المباركة ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٢] لتمثل نهاية الطلب والسؤال في رؤيا مغايرة عن دلالتها اذ انَّ الاية أرادت الاشارة الى أصل تربوي وفكري،أي ذكرالله تعالى بالاطالة والدعاء والابتعاد عن المعاصي[٣]، واراد الهمداني المعنى العاطفي في استدار البذل من طعام وشراب ولباس مع عدول عن ذبل الاية الطيبة اذ قال (أعطوني اشكركم) وهذا يشير الى أنه كان يتمتع بالخيال الادبي الذي ((هو الملكة التي يستطيع الادباء أن يؤلفوا صورهم.....، من احساسات سابقة لاحصر لها تختزلها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها))[٤] ولم تكن هذه الاية الكريمة بعيدة عن عن ذاكرة الحريري اذ يقول:((روى الحرث بن همام قال: ((نزع بي الى حلب

---

* السكباج: لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق الهملاج: الدابة السريعة استتلى: جعله تابعاً له، ذو طمرين: اي رجل يلبس ثوبين قد ابلى الدهر حدتهما الصوان:وعاء الثياب

(١) مقامات الهمداني:٩٥_٩٧

(٢) سورة البقرة ١٥٢

(٣) يُنظر: الامثل ٤٣٠/١

(٤) في النقد الادبي ،شوقي ضيف: ١٦٧

شوق غلب وطلب باله من طَلَب،.....، فأسرعت اليها اسرع النجم.....، فحين خيَّمتُ برسومها ووجدت تروح نسيمها لمح طرفي شيخاً قد أقبل هريرةُ وأدبرغريره، وعنده عشرةُ صيبان صنوان، فطاوعتُ في قصيدةِ الحرص لأخبرَ به أدباءَ حمص،.....، فجلستُ اليه لأبلُوَ جَنَى نطقه وأكتته كُنه حُمقِه فمالبث أن أشار بعتصيته الى كبر أُصَبتبهِ،وقال له أنشد الابيات العوامل .....، وأنشد من غير ريث فقال له الشيخ أحسنت لافُض فوك ولابُرَّ من يجفوفك فوالله انَّك مع الصبا الغَض لأحفظُ من الأرض .....، لقد أوردتك ورفقتك زُلالى، وثَقَّفتكم تثقيف العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولاتكفرون))[١]

وتبدو هذه المقطوعة مقاربة لما اورده الهمداني من حيث الجنوح الى الاية المقتبسة وجعلها نهاية الحدث وايرادها بدلالة مقاربة لما اوردها الهمداني، ولكن الحريري لم يعمد الى أي تغير فب البنى السطحية واكتفى بالاقتباس النصي دون الابداع الذي بدأ عند الهمداني وحينما نسجل في النص الذي طالعنا للحريري اقتباساً آخر ﴿ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾[٢] فان هذه الظاهرة _ظاهرة توالي النصوص المقتسة في مقامة واحدة_ لم تفتقرها مقامات الهمداني وبعبارة أخرى أنها كانت ظاهرة مشتركة للاقتباس النصي عندهما أيضاً[٣]مع الالتفات الى أنَّ الحريري قد أظهر انشداداً بحبل متين نحو آياتالذكر الحكيم في الاقتباس النصي فظهر أثره كماً فاق ما بدافي مقامات الهمداني ولم يكن ذلك الكم مفتقراً الى العمد واللمسات الفنية))[٤]

---

(١) مقامات الحريري :٥٢٤ _٥٣٩ كبراصبته: الاكبرمن الاولاد الصبا الغض: الصغرالطوى، احفظ من الارض: مثل لشدة الحفظ زلالى: الماء العذب

(٢) اذا اقتبس من الاية ٤من سورة الرعد

(٣) يُنظر: مقامات الهمداني: ٧١، ١٠١، ١٠٣ على سبيل المثال، ويُنظر:مقامات الحريري:٢٠، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٠ على سبيل المثال

(٤) يمكن ان نصل الى هذه النتيجة من خلال الاستقراء للمقامات يُنظر: مقامات الهمداني: ١٧، ٦٣، ٧١، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١١٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩ ومقامات الحريري: ٢٢، ٥٤، ٦٤، ٩٨، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٥٤، ١٧٩، ١٨١، ٢٠١، ٢١١، ٢١٧، ٣٢٩،

ولم ينحسر اقتباس الايات في المقامات على النثر اذ ((عمد المقاميون الى اقتباس بعض الايات الكريمة في أشعارهم ومن ذلك ماجاء)) في المقامات الهمداني والحريري، مع تباين في نوع الاقتباس والاجادة الفنية فقد خلت مقامات الحريري من أي اقتباس نصي واقتصرت عل الاقتباس غير النصي (المحور)[1] بينما تنوع الاقتباس في المقامات الهمداني فضلاً عن الابداع الفني مع عدم اغفال ان اقتباسات الحريري في الشعر جاء بطابع مميز ينبئو عن عفو وصفوٍ كسجع الحمام، ولكي يتضح ما اشرنا اليه نقف عند بعض النصوص، فمن ذلك قول الهمداني في المقام القزوينية حيث يصف رحلته مع رجل اصطحبه في المسير بعدما نالا من الطعام زالشراب ومكثا الى النوم فاذا برجل على ايقاع الطبول ويقول:

أدعو الى الله فهل من مُجيب اليَّ ذراً رحبٍ ومرعى خصيب
وجنَّةٍ عالـــةٍ ماتَـــنِى قطوفها دنيَةً ما تغيب
ياقومُ انِّي رَجلُ تائبُ من بلدِ الكفر وأمرِى عَجيب
ان أكُ آمنتُ فكم ليلةٍ جَحَتُ ربِّي وأتَيتُ المُريب

.....

ثم هَداني اللهُ انتاشني من ذِلَّةِ الكفر اجتهادُ المُعيب

.....

فظلتُ أُخفي الدِّيـــن في أسرتي واعبدُ الله بقلب مُنيب

.....

٢٤١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٧٣، ٤٠٣، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٦٨، ٥٢٣، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٧٨، ٥٩٥، ٦٠٣

(١) الحياة الاجتماعية في مقامات العصر العباسي ، خالد محمود العسود المزيد، اطروحة دكتوراه: ٣٨٢

- الاقتباس غير النصي (المحور) هو الاقتباس الذي يعمد فيه الاديب الى التصرف بالنص قليلاً او كثيراً على وفق مقاصده التي يرنو اليها

ثُمَّ اتخذتُ الليلَ لي مركباً وما سِوَى العَزم أمامي جنيب

.....

فَقدكَ* من سيريَ في ليلة يكاد رأسُ الطِّفلِ فيها يشيب

حتى اذا جُزتُ بلاد العدى الى حِمى الدين نَفَضتُ الوجيب

فقلت اذ لاحَ شِعارُ الهوى نصرُ مِن الله وفتح قريب(١)

فالنص يمتلك هوية اسلامية متأثرة بالقرآن الكريم ألفاظاً وتراكيباً_اقتباساً مباشراً وغيرمباشراً_ وقد حملت عذه الهوية فكرة الصراع الذاتي لدى المبدع صراع بين التوحيدوالشرك انتهى بانتصار الروح المؤمنة يخالقها، وقد جاءت الآية المباركة المقتيسة ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾(٢) والحقيقة أنَّنا ومع كثرة الاقتباسات التي كادت ان تحول النص الى نص بديل الاننا لانشعر معه بالصنعة أوالتكلف أو ايراد الايات المقتبسة في غير محلها بل ان المقطوعة كانت ((سهلة المتناول،يتعشق أول الكلام فيها آخره ويربط بعضه ببعض ارتباطاً يؤذن بصفاء قريحة وطول باع))(٣)

ومن الشواهد مقامات الحريري اخترنا ماحكاه من قصة ابي زيد السروجي وزواجه من امرأةٍ باهرة السفور ظاهرة النفور لتؤنسهبعد جدال بينهما احتكما الى الحاكم ((فثارت الزوجة و.....،واستطالت وأشارت الى الحاضرين وقالت(٤):

ياأهل تبريز لكم حاكِم اوفَي على الحكَّامِ تَبريرا

مافيه من عيبٍ سوى أنه يومَ النَّدى قسمته ضيزى

قصدتُه والشيخُ نبغي جنى عُودٍ له مازال مهزوزا

---

* فقدك: قدك: اسم بمعنى كافيك او اسم فعل بمعنى يكفيك، الوجيب: خفقان القلب واضطراب دقاته.

(١) مقامات الهمداني: ١٠١_ ١٠٣

(٢) سورة الصف: من الاية: ١٣

(٣) تاريخ الادب العربي في العصر العباسي بالمشرق ،السباعي البيومي:٢٣٠/٣

(٤) مقامات الحريري : ٤٣٨_٤٤٨، تبريرا: ظهورا وسبقا مهزوزا: نطلب ثمر سجر تمييزا: تشريفا

فَسَرَّح الشَّيخَ وقد نالَ من جدواه تخصيصا وتمييزا
وردَّني أحيبَ من شاتمٍ بَرقاً خَفَافي شهرِ تَمُّوزا
كأنه لم يدرِ أنّى الى لَقَّنتُ ذا الشَّيخَ الاراجيزا
وأنّني ان شِئتُ غادرتُهُ اُضحُوكة في أهلِ تبريزا

لقد استطاع الحريري ان يجعل من الاية المقتبسة في البيت الثاني (قسمته صيزى) التي وردت في قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾[١] توبيخاً للذين يدعون الله انداداً ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾[٢] بؤرة مركزية غنية تشع بتأكيد احساس بمعنى ذي خصوصية_وهو الظلم وعدم الانصاف_ فأراد ان يعبر عنه فلم يسعفه الا النص المبارك اذ أنَّ في لفظة (ضيزى) مايشير الى التهجين والتشنيع والى خساسة الفهم وهذا من أعجب ماورد في القرآن الكريم من مطابقة الألفاظ لمقتضى الحال واذ شكل الاقتباس غير النصي (المحور) نقطة افتراق بين الشعر الذي ورد في مقامات الهمداني _اذ جاءت منه ومقامات الحريري_ اذ زخرت به،فانه كان بؤرة التقاء بينهما في النصوص النثرية_غيرالشعر_ كماً ونوعاً ولكن ورد هذا الضرب من الفن عند الهمداني بنسبة أقل مما ورد في مقامات الحريري[٣] ومن ذلك ماورد في قول الهمداني في المقامة الاهوازيّة: ((حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالاهواز في رفعةِ.....، ليس فينا الا أمردُ بكرُ الامالِ، أو مختلطٌ حسنُ الاقبال، مرجوٌ الايام والليال فأفضنا في العِشرة كيف نضعُ قواعدها، ولاخوة كيف تحكم معاقِدَها.....، ولماأجمعناعلى المسير استبقنا رجلُ في طمرين في يمناه عُكازهُ وعل كتفيه جنازة.....، فصاح بنا صيحة كادت لها الأرض تنفطرُ والنجوم تتكدرُ،وقال.....،مالكم تطيّرون من مطية ركبها اسلافكم وسيركَبُها أخلافَكم.....، أما والله لَتُحمَلنَّ على هذه العِان .....، ويحكم تطيرون،كأنَّكم مخيَّرون وتتكرَّهون

(١) سورة النجم :الاية ٢٢
(٢) يُنظر: اعراب القران الكريم وبيانه ، محي الدين الدروسي،٣٣٢/٧
(٣) يُنظر:مقامات الهمداني: ٦٧، ١٠١، ١٠٣، ١١٨، ١٦٩، ٣١٢، ٣٣٢ ومقامات الحريري: ١٣، ٨٨، ١٥٦، ٢٠١، ٢٣٥، ٢٦٣، ٤٥٣، ٥٤٩

كأنَّكم مُنَزَّهُون،هل تنفع هذه الطيرةُ))[١] ففي قوله (كادت الأرض تنفطر، والنجوم تنكدر) تصوير مفعم بالدلالات التي تصور الخوف الذي أصابهم، وقد كان اقتباساً موفقاً من قوله سبحانه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾[٢] وقولـــه جلّ شأنه: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[٣] ومما يج الالتفات اليه أن الايات تصوّر مشاهداً مروعة من يوم القيامة اذ تخبر عن انفطار السماء، اي انشقاقها والهمداني لم يدع نصه دون اللجوء الى تغير في البنية السطحية فلو تفحصنا جهوده لتبين أنه أسند الانفطار الى الأرض ليحقق بيان القصد من استيلاء الخوف عليهم أي من تحتهم (الأرض تنفطر) ومن فوقهم (النجوم تنكدر) مع تغييرٍ طفيف في البنية السطحية عب تغيير صيغة الفعل من الماضي الذي اشار بحتمية الوقوع ال الفعل المضارع (تنكدر) الذي يناسب فعل المقاربة(كاد) فانفطار الارض وانكدار النجوم لم يتحقق فعلا وانما كان هاجساً يفصح عن شعور أحس به.

وجاء مثل هذا الضرب من الاقتباس غير النصي في المقامات الحريري أيضاً، كما ورد في المقامة الاسكندرانية التي تروي حضور الحرث بن هشام مجلساً تشاجرة فيه امرأة مع زوجها، وبعد ان استمع القاضي كلامهما_في صياغة كشفت عن أثر قرآني على مستوى الالفاظ والتراكيب كالاقتباس المباشر- اصلح بينهما فخرج الرجل ((يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه))[٤] فلما أُخبر القاضي أرسل في طلبه ولكنه قد ابتعد كثيراً فقال القاضي: ((أما انَّهُ لو حَضَر لكُفِي الحَذَر،ثُمَّ لأوليتُهُ ماهُوَ به أولى، ولأرَيتُهُ أنَّ الآخرةَ خيرُ له من الأولى))[٥] مع أنَّ الحريري كان على دراية بحقيقة دلالة الاية الطيبة المقتبسة التي خاطب الله تعالى

(١) مقامات الهمداني :٦٦_٦٨.، أمروبكر:يريد أن افراد هذه الجماعة كلهم كانوا من الاحداث صغار السن

(٢) سورة الانفطار الاية ١

(٣)سورة التكوير الاية:٢

(٤) مقامات الحريري:٨٧

(٥) مقامات الحريري :٨٨

فيها نبيه محمد (ﷺ)﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[١] الا أنَّه استطاع وبلباقة وذكاء أن ينقل الدلالة الى غرض آخرٍ يتعلق بمحاسن كلامه وقوة بيانه ولعل فيما قدمت من نصوص يعطينا صورة وافية عن حقيقة الأثر القرآني على مستوى الاقتباس النصي وغي النصي في تلك المقامات، والفرق في قدرة أصحابها على توظيف ذلك الأثر المقدس.

٣. المستوى التصويري

تمثل الصورة أثر الأديب المبدع_لاسيما بعد تكامل عناصر البناء الاخرى من ألفاظ وتراكيب وظواهرفنيّة أخرى_ في البناء الفني، فهي أداة فنيّة تجعل القارئ يشاهد منظراً من مناظر الوجود أو((لوحة مؤلفة من كلمات .....، لكنها في التعبير الشعوري توحي بأكثر من مظهر، وقيمتهاتركز على طاقتها الايحائية فهي ذات جمال تستمد من اجتماع الخطوط والالوان والحركة ونحو ذلك من عناصر حسيّة ذات قيمة ايحائية))[٢] وليس البحث بصدد تحديد الصورة مفهوماً وأهميةً زلابيان اهميتها في القرآن الكريم وطرق توظيفها بقدر الوقوف على مواطن تأثير اصحاب المقامات بتلك الصور التي اوردها القرآن العظيم التي يقف أي شخص مندهشاً أمام هذا التصوير الدقيق لأنه على أعلى درجة من الاعجاز تخدشه التعليقات وتشوهه التقسيمات ويضعفه التحديد، فكل جزئية فيه قد تداخلت مع غيرها واتحدت لترسم لنا مشهداً يتداخل مع مشاهد أخرى في السياق تدلل على روعة التصوير وعظم المصوَّر تبارك وتعالى))[٣] ومما لاشك فيه أنّ التشبيه هو أحد عناصر تكوين الصورة،وقد حملت آيات الفرقان العظيم صوراً أخآذه وشخص أثرها في المقامات ومن ذلك قول الهمداني في المقامة الخمريّة حيث يستهزئ بمفهوم ازدواج الشخصية الذي انتشر في المجتمع آنذاك، فصوّر قول عيسى بن هشام في اجتماعه مع اخوان الخلوة ذو المعاني الحلوة حيث الخمر والمرح ثم القيام للصلة فيقول:((واجتمع اليَّ

---

(١) سورة الضحى:٤

(٢) تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب:١٩

(٣) السور المدنية ، دراسة بلاغية واسلوبية،د.عهود عبد الواحد:١٩٩

في بعض لياليَّ اخوان الخلوة ذو المعاني الحلوة، فمازال لنا نتعاطى نجوم الأقدام حتى تقدما معنا من الرَّراح.....،فلما أخذنا في السَّبعِ ثوَّبَ مُنادي الصبح، فحنس شيطان الصبوة وتبادرنا الى الدعوة وقمنا وراء الامام قيام البررة الكرام، بوقار وسكينة وحركاتٍ موزونة، فلكلٍّ بضاعة وقت ولكلِّ صناعة سمت))[١] فالهمداني قد جنح الى قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾[٢] ليشبه أولئك الندماء ووقوفهم للصلاة بالكرام البررة بجامع من الطهارة والطاعة والخضوع لله تعالى،وقد عمد الى جعل اللفظ (ببررة كرام) معرفاً بـــ(ال) المعهودة في الذهن،الذهن، وقدم الكرام على البررة رعاية للفاصلة،ومن المسلَّم به أنَّ جودة الصورة التشبيهة تركز في احدى جوانبها على الجدة والابتداع، ففي الجدة مايروق وفي الابتداع ما يعجب[٣] وقد ابدع الهمداني حينما استطاع أن يستل فكرة تشبيه الانسان بالملائكة ويبدو انه استحضر قوله جلّ وعلا على لسان النسوة ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾[٤] وبعبارة أخرى فكرة تشبيه الانسان بالملائكة فكرة لها جذور قرآنيّ.

ومع أن النصوص التي وقفت عليهافي المقامات الحريري التي تحمّل صوراً تشبيهية فاقت نصوص الهمداني كماً[٥] الاّ أنها لم ترتقق الى الجدة كما اتضح في مقامات الهمداني اذ أنّ الحريري كان يعمد الى الآية الكريمة التي تحمل صورة تشبيهية فيوردها او يأتي بالاية على نحو الاقتباس ويجعلها أحد طرفي التشبيه ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾[٦] كما في قوله في المقامة السنحاريّة في حكاية

(١)مقامات الهمداني :٤١٦_٤٢٠ نجوم الاقدام:اي الخمر التي تشبه النجم،
السّمت: الجهة والمراد هنا : الهيئة والحال.
(٢) سورة عبس الاية: ١١، ١٢، ١٣، ١٤
(٣) يُنظر:فنون التصويرالبياني ،د.توفيق الفيل:٥٧
(٤) سورة يوسف الاية ٣١
(٥) يُنظر: مقامات الحريري ٢٣، ٨٧، ١٤٣، ١٥٣، ١٧٦، ٢١١، ٣٠٦ ،٣٣٥، ٣٧، ٤٠٢
(٦) سورة يوسف الاية ٣١

اغتراره بمعاشرة جاره المتصف بالأخلاق الذميمة: ((كان لي جار لسانه يتقرَّب وقلبه عقَرب .....، وكانت عندي جارية لايوجد لها في الجمال مجارية، فما ان غبر على ذلك الزمان الا يومُ يومان حتى بدأ الى تلك المدرة واليها ذي المقدُرة.....،فأسفَّ ذلك الجار الختار.....،فابى الوالي ناشراً أُذينه وأثبه ماكنت اسررته،فما راعني الا انسياب صياغتهِ اليّ وانثيال حفدته عليّ....، على أن أتحكم عليه في القيمة فغشيني من الهمّ ماغشي أتحكم فرعون وجنوده من اليَمّ))[١] والحريري حوّل الامر المعنوي (الهمَّ) الى أمر مادي محسوس جسده من انتزاع صورة غرف فرعون واتباعه كما في قوله تعالى حكاية عن قصة موسى ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[٢] تكمن قدرة الحريري في استحضار هذه الصورة في الابهام الذي يصور ما علا فرعون وجنوده من الأمر وجنوده من الأمر:((الذي ليس في طوقهم احتماله، مالايمكن ادراك كنهه ولاسبر غوره))[٣] وهذا ماراد صاحب المقامة في روصف همه، ولايفتنا الاشارة الى أنه أيضاً قد عمد الى الافادة من التقديم والتأخير_كما فعل الهمداني_ فقد أخّر لفظ (اليم) رعاية للفاصلة.وغابت الصورة الاستعارية _المتأثرة بالصور القرآنية_ من تلك المقامات سوى موطن واحد سجله الحريري[٤]،على سبيل استعارة الاستعارة، وهذا النوع من من التوظيف يعد نوعاً من استثمار مخزون الذاكرة[٥] بينما شكلت الصورة الكنائية ركيزة من الركائز التي اعتمدوها فهي عنصر من عناصر التعبير غير المباشر وتشارك عناصر الصورة مع انفرادها بأن تنقل المراد نقلاً رقيقاً، وكما يقول الجرجاني: ان ((الصفة اذا لم تكن مصرحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها ولكن

(١) مقامات الحريري: ١٧٣_١٧٦ يتقرب: يتودد صياغته: اي حاشية ومن يميل اليه

(٢) سورة طه :الاية ٧٨

(٣) اعراب القران الكريم وبيانه:٤/٧٠٩

(٤) يُنظر: مقامات الحريري: ١٣

(٥) يُنظر:فاعلية التعبيرالقرآن في الشعرالمحدث العباس على الطاهر الحذيفي، اطروحة دكتواره: ٣٦٧

مدلولاً عليها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها))[١]ولنا أن نرصد الكتابة القرآنية التي تشيرالى الشح والبخل الذي يمتلك بعض النفوس بمنع الزكاة المفروضة وما يتعاوره الناس بينهم من متطلبات الحياة كالماء والملح وغيرهما[٢] في قوله تعالى﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾[٣] ويمكن أن نرصد هذه الصورة كنقطة التقاء أيضاً بين الهمداني والحريري اذ عمدا اليها وقصدا ((في تأليفها نقد المجتمع نقداً بناءً،عسى أن تجد لهذه العيوب اصلاحاً، فأسلوب عرضها خفيف وعبارتها رشيقة يسهل على الناس فهمها))[٤] ومن ذلك حديث الهمداني في المقامة الدنيا ربّة حيث يحدث عن عيسى بن هشام أنه نذر أن يتصدق بدينارعلى رجل أكثرشتيمة من صاحبه، فتبارزا اثنان وقال احدهما للآخر((يابرد العجوز، ياكربة تَمُوز وياوسخَ الكوز،يا.....،ياثقِل الدَّين،باسِمَة الشين، يابريدَ الشوم، ياطريد اللُّوم،ياثريد الثوم، يابادية الزَّقوم، يامنع الماعون، ياسنة الطاعون))[٥]

فاستحضارهذه الكتابة منحت النص صفة أخرى،فالى جانب الانصاف بالبخل أرشدتنا الى سمة ذميمة أخرى وهي الرياء والتكذيب بيوم القيامة وهذه الصفات مرتكزة في ذهن المتلقي من قوله تعالى﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾[٦]

ويعكس الحريري دلالة هذه الكناية اذ يجعلها مصدراًللعطاء والبذل العلمي، وذلك في المقامة الملطية فيقول في حديث أدبي بين الأصحاب: ((حتى أدَّتنا شجون

---

(١) دلائل الاعجاز، الجرجاني: ٢٣٦

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير،ابن عاشور:٤٣/٣٠

(٣)سورة الماعون الاية:٧

(٤) مقامات الحريري المصورة، دراسة تاريخية اثرية فنية ،ناهدة عبد الفتاح:١٧

(٥)مقامات الهمداني :٣٧٦_٣٧٩

(٦) سورة الماعون الاية(١_٧)

المفاوضة الى التحاجب بالمقايضة.....، فأنشأنا نجلو السُّهي والقَمَر،ونجني الشَّوكَ والثَّمَر،.....، وَغَلَ علينا شيخُ قد ذهب حِبرُهُ وسِبرُه،.....، وقال:

يامن سَما بذكاء في الفضل وارسى الزنادِ
ماذا يُماثلُ قولي جُـــوعُ أمدَّ بزادِ

فلما أطرنبنا بما سَمعناهُ،..... قُلنا لهُ لسنا مِن خيل هذا الميدان،ولا لنا بحلِّ هذه العَقد يَدان،فان أنبت مَنَنت، وان كتمتَ،غَمَمت،فظلَّ يُشاورُ نَفسيَه، ويُقلّبُ قِدحَيه حتى هانَ بذلُ الماعُون عليه، فأقبل حينئذٍ على الجماعة وقال:ياأهلَ البلاغة والبراعة،سأُعلمكم مالم تكونوا تعلمون))[١] وبهذا الربط الدقيق استطاع الحريري سحب الكناية من الاشارة الى الايحائية الحريري والى جانبها نلحظ براعة ذكاءه في توظيف كناية سبقت ماشرنا اليه في قوله:(وقلب قِدحيّه) ففيها كناية عن الترد في الامر وعدم وضوحه ثم ساق الكناية (بذل الماعون) ليخلق حالة من الشعور بالانتصار والتغلب على النفس،ولعلي لم اجانب الصواب اذ قلت أن هذه الكناية (وقلب قدِحيه)تشير بتأثير الحريري بقوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ ﴾[٢] ولكنه عدل من دلالتها على الندم وتحطم الكبرياء والغرور الى الدلالة التي ذكرناه.

ومن استقراء النصوص الاخرى يمكن الاشارة الى كنايات ضمنتها تلك المقامات[٣] ونعرض عن ذكرها لضيق المجال.

واعتقد أن النصوص التي اوردتها القدرة على بيان الاثر القرآني في المستوى التصويري لتلك المقامات.

---

(١) مقامات الحريري: ٣٩٠_٤٠١ التحاجي: مطارحة المسائل العويصة المقايضة: المفاوضة ومنه بيع السلعة مقايضة السهي: القمراي كشف الخفي والجلي الشوك والثمر: يريد به غليظ الالفاظ ورقيقها

(٢) سورة الكهف الاية:٤٢

(٣) يُنظر: مقامات الهمداني :٤٢٢، ومقامات الحريري:١٢٤ على سبيل المثال

النتائج

كشفت هذه الدراسة عن الأثر القرآني في مقامات الهمداني والحريري _دراسة فنية موازنه_ شملت مستوى الالفاظ والتراكيب والمستوى التصويري ،ففي مستوى الالفاظ تبين نوع الفاظ معينة في تلك المقامات كأسماء السور والقرآن الكريم والفاظ العبادة كالحج والصلاة وغيرهما، وتبيّن قدرة الحريري على توظيف الفاظ أخر كادت تغيب عن معجم الهمداني كأسماء الله الحسنى والفاظ القيامة.

أماعلى مستوى التراكيب فقد مثّل الاقتباس بانواعه حضوراً ملحوظاً في تلك المقامات، وقدحفلت مقامات الحريري بالاقتباس المباشر (الاستشهاد) وغاب عن مقامات الهمداني، بينما اشتركت تلك المقامات في الاقتباس النصي غير المحور، وسجل هذا النوع من الاقتباس حضوراً في شعر تلك المقامات عند الهمداني وغاب عند الحريري وقد مثل الاقتباس غير المباشر(المحور) بؤرة التقاء في تلك المقامات شعراً ونثراً.

وعن المستوى التصويري كانت للصورة التشبيهية حضورها في الملحوظ ولاسيما في ابداعات الهمداني،بينما انحسرت الصورة الاستعارية سوى صورة واحدة عند الحريري على نحو استعارة الاستعارة.

اما الصورة الكنائية فقد شخصت بعض صورها كنقطة اشراك بين تلك المقامات مع تباين في توظيف دلالتها.

وفي كل ذلك كان التباين من الناحية الفنية واضحاً بين الهمداني والحريري فلكل واحد منهما ابداعهُ المميز، وان كان الحريري أقدر من الهمداني من حيث الكم الذي ورد في تلك المقامات التي بلغت الخمسين مقامة عند الطرفين.